

آثار الحرية الفكرية على الافراد والمجتمعات والامم في المنظور الإسلامي

بحث مستل من رسالة ماجستير الموسومة بـ (حرية الفكر في الاسلام ، مفهومها ، ضوابطها ،
□ وآثارها)

Research drawn from a master's thesis tagged with
(freedom of thought in Islam, its concept, controls, and
effects)

للتأليف

مهدي محمود جاسم

For the student

Mahdi Mahmoud Jassim

بإشراف

أ.م.د. ظاهر فياض جاسم

(جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية)

Supervised by

Prof. thahir Fayad Jassim

(University of Baghdad – College of Islamic Sciences)

ان الإسلام دين الله تعالى ، والانسان احد مخلوقاته ، فالله تعالى جاء بهذا الدين للانسان ، لكي يحفظ له قدره ومكانته بين سائر المخلوقات ، لذلك منحه حرية فكرية لها آثارها المتعددة ، قد تكون على الفرد نفسه من خلال تقبله للآخر والتسامح معه ضمن اطار الوسطية في الاقوال والافعال ، وقد تكون على المجتمع الواحد او على مختلف المجتمعات والأمم ، فتدفعه الى ابراز الافكار والتلاقح بينها من اجل اثراء المجتمع واغناه فكريا ومعرفيا .

Conclusion

Islam is the religion of God Almighty, and man is one of his creatures. God Almighty has brought this religion to man, in order to preserve for him his ability and his position among all creatures. Therefore, he granted him freedom of thought that has multiple effects, which may be on the individual himself through his acceptance of the other and tolerance with him within the framework of moderation in the sayings Acts, and may be on one society or on different societies and nations, pushing it to highlight ideas and cross-fertilization between them in order to enrich society and enrich it intellectually and cognitively.

المقدمة

لقد شغلت قضية حرية الانسان ومدى سعتها او ضيقها ، والمجالات التي تعمل فيها ، عقول بني البشر منذ زمن بعيد ، يكاد يكون قريباً من زمن وجوده على الارض، تجادل في قضاياها الفلاسفة ، وتكلم فيها العلماء ، وقامت سوق الجدل بين الاقران في مصدرها وحدودها واصلها وفروعها ، وكل له رأيه وادلته ، فمن منطلق فيها مما جاءت به الكتب والاديان ، الى مستند فيها الى عقل وبرهان ، حتى جاء الاسلام فشفى في أمرها الصدور ، وأوضح غامضها بما جاء فيه من النور ، فحلّ المشكلات، وأثار المظلمات ، وسكن العقلاء الى رأيه ، واخذوا نهجه . ولعل من اهم جوانب الحرية التي لها ارتباط بالإنسان ومن حوله هي حرية الفكر التي بها وعلى اساسها يحدد الانسان الاختيارات ، و بها تقرر الاعمال ، وتصدر الاقوال ، فالأقوال تصدر من الانسان بعد أن يفكر فينطقها ، والاعمال يشرع بها بعد أن يقضى منها في العقول وطرها ، فأولى الناس لهذا النوع اهمية كبيرة ، فكل انواع الحرية في الحقيقة له تتبع ، ومن هذا المنطلق فقد اولى الاسلام بها عناية ، وجاءت الآيات والاحاديث لتقررهما وتشدد في اهميتها ، لان كل شيء في الحياة له اثر يظهر على الواقع بعد تطبيقه ، والحرية الفكرية بوصفها فكرة تحمل في العقول والقلوب ، وسلوك يطبقه البشر في حياتهم اليومية ، لا بد أن تكون لها آثارها في الحياة ، في حالة وجودها وانتشارها ، أو انعدامها وانحسارها .ومن هذا المنطلق رأيت من المصلحة الكبرى في دنيا اليوم ان اتكلم عن آثار الحرية الفكرية التي كفلها الاسلام لجميع الناس على اختلاف اديانهم واجناسهم واشكالهم وقومياتهم وانتمائاتهم

وعلى ضوء هذه المقدمة تضمن البحث الخطة الاتية :

المبحث الاول : آثار الحرية الفكرية على الفرد الواحد

المطلب الاول : قبول الاخر والتسامح الفكري

المطلب الثاني : الوسطية و الاعتدال في الاقوال والافعال

المبحث الثاني : آثار الحرية الفكرية على المجتمع الواحد

المطلب الاول : الحق لكل فرد أن يعتقد ما يشاء من الأفكار

المطلب الثاني : التنوع والثراء الفكري

المطلب الثالث : تعاون ابناء المجتمع الواحد في المشتركات

المبحث الثالث : آثار الحرية الفكرية على مختلف الامم والمجتمعات

المطلب الاول : تلاقح الافكار بين الامم والمجتمعات

المطلب الثاني : التعايش السلمي بين الامم والمجتمعات

الخاتمة .

المصادر .

المبحث الاول آثار الحرية الفكرية على الفرد الواحد

المطلب الاول : قبول الاخر والتسامح الفكري

عندما يسود مبدأ الحرية الفكرية في حياة شخص ما من الناس ، وتصيح منهجاً عملياً في حياته ، يعامل نفسه والآخرين على اساسها ، ويتحاكم اليها دائماً ، فيراها حقاً ثابتاً لنفسه و للآخرين ، لا بد أن تتعكس على سلوكه آثار اخرى لهذا المبدأ الذي يحمله ، ومن أهم هذه الآثار هو قبول الآخرين كما هم ، بما يحملونه من أفكار ومعتقدات ، وظهور أمارات التسامح الفكري في اقواله وافعاله . وإن الله تعالى خلقنا متفاوتين في افهامنا ومداركنا وملكاتنا ، يبني على هذا الاختلاف اختلاف الافكار والآراء ، وهذا الاختلاف من لوازم بشريتنا ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا نَرَاكَ مُتَخَلِّفِينَ﴾^(١) ، وبناء على هذا الاختلاف ينبغي للإنسان ذي العقل والتمييز أن يستوعب هذا الاختلاف فيقبل الآخرين ويتسامح معهم فكرياً ، ولا سبيل لذلك دون حرية فكرية ، بل إن التسامح هو وسيلة نشر الدعوة الحقيقية ، لذلك أمر الله تعالى به نبيه فقال : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، فهذه الآية (جلية في تبيان حقيقة موقف الاسلام من الآخرين ، المبني على قدر هائل من الاحترام والقبول)^(٣) ، فلولا هذه السماحة العالية لما شاهدنا هذا الانتشار الواسع للإسلام ، لقد ظهرت اعظم سمات التسامح في الاسلام في قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٤) ، هذه الآية التي نشرت آفاقها في بقاع الارض فعاش اهل الارض في ظل الاسلام ، بحقوق محفوظة وعدالة اجتماعية لم تعرف لها الدنيا مثيلاً ، (يأتي الاعتراف بالأخر من خلال الاقرار بالتنوع والاختلاف كونه سنة الهية لا تقبل التغيير والتبديل ، ولا يعني ذلك بالدعوة اليه ، إلا أن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن الاختلاف من طبائع الاشياء ، وانه واقع بمشيئة الله ، ومن هنا فالمنهج الاسلامي يقوم على أساس الاعتراف بالأخر المختلف ، والاقرار بوجوده والحوار معه ، وليس الغاءه وتهميشه وعدم الاعتراف به)^(٥) ، إن الآخر في نظر الاسلام له وجوده المشروع وله احترامه الذي يستحقه وله حقوقه التي تقيم وجوده وحياته ايضا ، وهذه المشروعية مستمدة في الاصل من بشريته التي خلقه الله تعالى عليها^(٦) ، إن (عالمنا اليوم في اشد الحاجة الى التسامح الفعال ، والتعايش السلمي بين الناس ، أكثر من اي وقت مضى ، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات ، والثورة التكنولوجية التي ازلت الحواجز الزمانية والمكانية بين الامم والشعوب ، حتى اصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة، والاسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه الى تربية اتباعه الى التسامح ازاء كل الاديان والثقافات ، فقد جعل الله الناس جميعاً خلفاء في الارض التي نعيش فوقها وجعلهم شركاء في المسؤولية عنها ، مسئولين عن عمارتها مادياً ومعنوياً)^(٧) ، فضلاً إلى ذلك أن الاعتراف بالأخر يقتضي من الانسان المسلم أن يبقي الآخرين على ديانتهم ويحترم خصوصياتهم ويقوم بدور الحماية لهم من أي ظلم واضطهاد يقع عليهم ، وأن يقر لهم بحقوقهم و حرياتهم ما داموا ملتزمين متعاهدين عليه مع المسلمين من احترام لمقدساتهم وابتعاد عن ايذاءهم بالأفكار والاقوال والممارسات ، فلا يظهرون الطعن في الاسلام^(٨) ، إن الحرية الفكرية إذا انتشرت في المجتمع ، واصبحت خلقاً من اخلاقه ، ومسلماً من مسلماته ، ستصبح ثقافة قبول الآخر والتسامح الفكري سمة بارزة في هذا المجتمع بصورة عامة ، وسيصرف الأشخاص على هذا الاساس بتلقائية مع الآخرين وافكارهم ، باعتبار أن افكارهم وآراءهم من الحقوق الثابتة لهم ، ولا يحق لاحد أن يسلبهم حقوقهم، أو ينتقص منها ، (إن عدم التسامح يعني حجب وتحريم حق التفكير والاعتقاد والتعبير بفرض قيود وضوابط تمنع ممارسة هذا الحق ، بل تنزل احكاماً وعقوبات بالذين يتجرؤون على التفكير خارج ما هو سائد ، سواء بقوانين مقيدة ، أو عبر ممارسات قمعية تحت ذرائع شتى)^(٩) . وإن بقاء المجتمعات واستقرارها مرهون بتغيير قنوات الاشخاص نحو الحرية الفكرية ، وأن لكل شخص حقه في التعبير عن رأيه وفكره ، وأنه من اهم حقوقه ، وقبوله على هذا الاساس ، وبدون هذه العقلية التي تقبل الاخرين وتتسامح معهم ، ستبقى هذه المجتمعات تعاني الغليان من الداخل بسبب عدم تقبل الآخر . وهذا ما يرفضه إسلامنا ولا يقبل به، بل يدعو إسلامنا الى التعايش بين المجتمعات بمختلف افكارها ومعتقداتها وتوجهاتها وهذا بينه الله عز وجل بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٠) .

المطلب الثاني : الوسطية والاعتدال في الاقوال والافعال

من الآثار المهمة التي تكسبها الحرية الفكرية للأشخاص ، هو ميلهم الى التوسط في القول والفعل ، فتكتسي ردود افعالهم تجاه افعال الآخرين بنوع من التروي والتوسط. فلا يغلو في رد فعله ولا يتطرف ، ولا يتخور فيه او يتراخي ، بل يتروى ويتفهم ويتفكر ، والسبب في ذلك أن انتشار الحرية الفكرية ، وتنوع الافكار وتداولها بين الناس بطريق الحوار والنقاش المنضبط ، سيكسب الاشخاص ملكة التجاوب الفعال مع الافكار المتنوعة ، فهم ينظرون في كل فكرة جديدة ، ينقحون ويمحصون ، ويراجعون حتى يتبين لهم الصواب ، فإن كانت الفكرة صواباً اخذوا بها ، وإن كانت غير ذلك ، صححوا لصاحبها دون تعنيف أو تهجم ، وبدون شخصنة ، فالقياس والحوار للأفكار ، وليس للأشخاص ،

فلا مواقف شخصية ، إنما هي المصلحة العامة ، هذا هو عين التوسط وحقيقته . وإن فكرة الوسطية لم تكن لتظهر الى الوجود لولا وجود طرفين متباعين ، تعامل معهما الوسط بنوع من التآني المدروس المصحوب بتحديد الصواب ، بعد ادراك وجود التناقض بين الطرفين ، وأنه الطرف الذي يعطي للأفكار استقامتها وتوازنها^(١١) ، إن الاعتدال في الاسلام يكون بالتزام الشخص المنهج الأعدل و الأقوم وذلك باعتماد التوسط بين التجريح والتبديع ، والتفريط والافراط في التعامل مع افكار الآخرين ، ومواجهة الاهواء والآراء^(١٢) ، إن الوسطية في حقيقتها اتساع الصدر لقبول آراء المخالف ، والتعامل معها بمنطقية ، والرد عليها بصيغة توضح شمول الاسلام وفاعليته ، وتميزه باحتواء جميع الاطراف ، والتوازن معها بحيث لا يقع على احدها حيف او ظلم^(١٣) ، إن هذه الامة تكمن وسطيتها في التفكير والشعور ، إذ أنها لا تجمد على ما توارثته وتغلق عليه الابواب فلا تأخذ بمعرفة أو تجربة أو جديد ، ولا تتبع بالمقابل كل جديد وتسير عليه ، بل إنها تتمسك بما لديها من ثوابت وأصول ، وتتنظر في الافكار الجديدة نظرة ثاقبة تقبل الحق وتعرض عن الباطل ، فضالتها الحكمة ، وغايتها الصواب^(١٤) ، (ثم إن هذا المنهج الوسطي لا يعني المداينة وتقديم التنازلات والوقوف في منتصف الطريق بين الفريقين ، بل هو فهم قرآني معتدل وإتاحة الفرصة للزمن وحرية الفكر والتعبد والاحترام المتبادل لجميع الفرق ذات المنهج المعتدل غير المتشنج والمتطرف فتحل المحبة والأخوة بدل الحقد والخصومة ولا يعني أيضاً اختيار عقيدة جديدة بين عقيدتين ؛ لأن ذلك ضياع للإسلام ومنهجه الإلهي ، بل يعني الرجوع إلى عقيدة السلف الصالح وتحكيم الوحي الذي هو محل إتفاق بين الفريقين والعودة إلى التراث المشترك ولا عبرة بعدها بالأسماء والألفاظ ، بل العبرة بذلك الفهم الإسلامي الأصيل للدين الحنيف^(١٥) . وإن الوسطية الناتجة عن الحرية الفكرية ، وعن جعلها ثقافة مجتمع يدين بها الاشخاص تحقق الوحدة بين المسلمين ، وتزجق فتيل الشقاق بينهم ، وتذهب مظاهر الغلو والتطرف والحقد والنزاع ، وتقلل الخلاف بينهم ، كما انها تساعد في توسيع المدارك ، وبناء الفهم المتزن المرتوي ، الذي يأخذ الامور بتوازن وتآني ، فيستطيع الشخص مواجهة المعضلات وحل المشكلات^(١٦) ، وهذه الوسطية التي هي نتيجة حتمية للحرية الفكرية توفر لحاملها مساحة التحرك المنهج والواضح بين الافراط والتفريط في الرد على من هم خارج المنظومة الاسلامية فيقبل منهم ما كان جيداً ويرد عليهم غيره .

المبحث الثاني: آثار الحرية الفكرية على المجتمع الواحد

المطلب الاول: الحق لكل فرد أن يعتنق ما يشاء من الأفكار

الاسلام منح للحرية الانسانية مكاناً عظيماً ، فأولها عناية خاصة ، وندب الناس الى أن يأخذوا بها في كل تصرفاتهم ، و أن يعلموا أن لا سلطة لاحد عليهم سوى خالقهم ، وأنه في مقابل الحرية التي منحت اليهم ، والتي خولتهم اعتناق ما يريدون من الافكار ، فإن هناك مسؤولية في مقابلها ، وأن هناك جزاء بحسب الاختيار ، وبحسب الفكرة التي يحملونها . ولقد ارسى الاسلام مبدأ الحرية في اعتناق الافكار والاعتقادات ، وجاء قوله سبحانه : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١٧) ، والتي اقرت لكل شخص أن يعتنق ما يريد ، فالحق واضح ، والباطل واضح ومن اساء الاختيار فعلى نفسه جنى ، ان شرعية وجود الآخرين واعتناقهم افكارهم بحرية دون اكراه او جبر ومنحهم حق اختيار عقائدهم ليست مبنية على صحة او خطأ اعتقادهم واختيارهم ، بل إنها مبنية على حقهم وحريرتهم في الاختيار كونهم بشراً لهم الحق في الحصانة والكرامة والحماية وابداء آرائهم وافكارهم ، فليس من الاسلام في شيء أن نلغي الآخرين ، و نحذفهم من الوجود ، ونمنع اعتقادهم إن كانت تخالف اعتقادنا^(١٨) ، مادامت هذه الاعتقادات خاصة بهم لا تحارب الاسلام والمسلمين ولا تظهر خلافهم ، فكما يجب على المسلمين احترام خيارات غير المسلمين الذين يسكنون الديار الاسلامية ، يجب على غير المسلمين أن يحترموا ضوابط الشريعة الاسلامية التي اعطتهم حرية الاعتقاد ، وأن لا يظهروا ما يؤذي المسلمين ، فليس من العدل والحرية أن تقوم الاقلية بإيذاء الاكثرية^(١٩) . وحتى بين المجتمع المسلم ، نشاهد أن المجتمع الذي تسود فيه الحرية الفكرية ، وتعد من المسلمات ، فضلاً إلى ذلك أن التعبير عن الرأي حق ، وأن تقبله واجب ، فالتنوع والاختلاف أمر وارد لا محالة ، لذلك يتاح لكل شخص أن يقول ما يريد فذلك من حقوقه ، وإن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية وقضاء أزلي قائمة ما دامت البشرية متواجدة على هذه البسيطة ، وهذا التنوع يعني تنوع الافكار والاعتقادات والمسلمات ، لذلك فالأسلوب الامثل للتعامل مع هذا الواقع ، هو السماح للآخرين باعتراف ما يشاؤون وعدم اكراههم ، واقامة الحوار طريقة في التفاوض حول هذه الاعتقادات^(٢٠) ، (لقد فتح الإسلام أبوابه للإنسانية جمعاء ، وتوجه بخطابه إلى الكل دون تمييز ولا إقصاء ، واشترط في مقابل ذلك الإرادة الحرة في الاختيار ، المبنية على دواعي الاطمئنان النفسي والاعتناع العقلي ، حتى يسلم معتقوه من غوائل الشك والريبة واعتلال الوازع الديني فيهم ، فيقل تبعاً لذلك احتمالهم لتكاليه ، وينضب صبرهم على تحمّل مسؤولية القيام بأعبائه ، والاضطلاع بواجباته ، وما محاربة الإسلام لظواهر النفاق العقدي والفكري والسلوكي ، إلا من متطلبات دعوته الصريحة إلى أصالة حرية التدين ؛ إذ النفاق حالة نفسية مرضية ، تتوزع

فيها النفس البشرية بين دواجٍ مختلفة متناقضة لا تستقر فيها على حالة ثابتة خالصة من كل الشوائب، وهو تعبير عن حالة من التدهور النفسي والسقوط الأخلاقي والاضطراب السلوكي^(٢١)، ولهذا السبب نشر الاسلام لواء الحرية، وترك للناس التعبير عن آرائهم بحرية، واعتناق معتقداتهم دون اجبار، لكي لا يتحول المجتمع الى عين نفاق جارية، وبركة خداع آسنة، فأثرت الشريعة احترام اختياراتهم، وكل محاسب عن خياره، لقد كان هذا المبدأ الذي يقر كل انسان على خياره، وابتعاد الاسلام عن اكرامه الناس، ثمرة مهمة من ثمار الحرية الفكرية التي نشر الاسلام لواءها، وهذا ما جعل الكثيرين يتأثرون به، ويدخلون فيه، فدخل فيه كبار قادة الفكر والعلماء والمؤثرين، فأكتسب الاسلام عقولا وقلوبا جديدة، كان السبب في دخولها للإسلام لينه ورفقه بالآخرين^(٢٢)، وفي الاسلام (يعلن الإنسان عن جملة أفكاره وقناعاته التي يعتقد فيها الصواب والصلاح له ولغيره، وهو حقٌ ينتج عن عضوية الإنسان داخل المجتمع الإنساني باعتباره جزءاً منه، ومسئولاً مدعوّاً إلى الإسهام فيه برأيه وفعله، إثراءً للتجربة الإنسانية، وتحصيئاً لها من العثرات والنواقص، وإن ركزت المجموعة الدولية في الزمن المعاصر، على تأكيد هذا الحق وحمايته من كل أنواع الاعتداء والقهر والتهميش والإقصاء، سواء بتغليب النزعة الجماعية على حساب حق الفرد فيها، أم إطلاق مكامن الفرد إلى الحد الذي يتعالى فيه قراره على قرار المجموعة، فتتعدم الغاية النبيلة من وراء تقرير هذا الحق الأصلي، فإن الإسلام لم يغفل عن توجيه عنايته إلى هذا الجانب الهام في حياة الفرد والمجموعة بما شرعه للفرد من حق الإدلاء برأيه، والاجتهاد بفكره، والتعبير عن إرادته بحرية، ما لم تخرج عن مراعاة مصالح المجموعة المعتمدة شرعاً، أو تنقلب عليها لتفضي إلى تفتيت قواها وضياح جهودها)^(٢٣)، إن فائدة منح الحق لكل أنسان في اعتناق ما يشاء قد انحدرت من تجذر مبدأ الحرية الفكرية في المجتمع، ولولا وجود هذه الحرية لرأينا العالم لوناً واحداً، ورأياً واحداً، لا باقة ألوان زاهية تتلون الدنيا بها، وتزهو بها.

المطلب الثاني: التنوع والثراء الفكري

يعد تنوع الآراء وثنائها، احد أهم آثار الحرية الفكرية في المجتمع، فالمجتمع الذي يكون حرية التفكير فيه مصادرة، و التعبير عن الآراء حقاً مكفولاً، ستظهر فيه كمية كبيرة من الافكار التي تغني المجتمع، وتساهم في ايجاد مرونة فكرية تستوعب مشاكل الناس، وتطرح الحلول المناسبة، وتثري الابداع. ويعكس المجتمعات ذات الرؤية الواحدة، والفكرة الواحدة، التي لا تسمح للحرية الفكرية بالوجود، فتتدها في مهدها، فإنها تعاني من آثار النظرة الاحادية، والتي غالباً ما تتمثل في جمود المجتمع، وبقائه في قوالب معدة سلفاً. والناظر المنصف الى الاسلام يجد أن سماحة الاسلام، واتاحته للحرية الفكرية والتعبير عن الآراء قد اسهمت كثيراً في اظهار هذا التنوع، ولم تكن تخش منه شيئاً، فالشعار العام للإسلام في هذه المسألة ((الْحِكْمَةُ ضَالَةٌ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا))^(٢٤)، ومن اجل ذلك فقد كانت الحضارة الاسلامية رائدة الدنيا في العلوم والآداب قروناً طويلة من الزمن، وتمتع الناس فيها بتنوع فكري لم تعرف له الدنيا مثيلاً، (والإسلام حث المسلم على الترابط الوثيق بمجتمعه ومحاولة خدمته والدفاع عنه مهما وجد لذلك سبيلاً ولكنه ترك له مساحات حرة تتجلى فيها إبداعاته وخصوصياته وهي لا تتطابق بالضرورة لدى جميع الناس ولكنها لا تصطدم بالإطار العام نفسه وإنما تكسبه التنوع والثراء، بل ان الإسلام يعلم المسلم ان يكون مستعداً لمقاومة أشكال الانحراف في مجتمعه من باب الحرص عليه أيضاً ولعل مما يطيل في حياة الحضارة الغربية على الرغم مما فيها من عوامل الانهيار ما يسود عند القوم من روح التصحيح والمراجعة والنقد)^(٢٥)، إن سطوع شمس الحرية على المجتمع، لتضرب بأشعتها ارجاءه، ربت في نفوس ابناء هذا المجتمع ملكة الاقتدار الفكري، وتنوع الآراء، واتساع المعارف والافكار، ففرتوي العقول من العلوم، وتتوسع نظرة المجتمع الى الافق، فتقوى قدرته على مواجهة التحديات، ومقارعة الازمات، ويضفي هذا التنوع على ابناءه نوعاً من التضامن والتعاون فيما بينهم^(٢٦)، إن من مظاهر هذا التنوع الذي يزخر به المجتمع الاسلامي هو ذلك التنوع الكبير في الآراء الفقهية، وهذا التنوع الذي يؤكد صلاحية الشريعة الاسلامية لكل مكان وفي كل زمان، وأنه تنوع يغطي حاجات المجتمع المتنوعة، ومصالحه المختلفة، مع اختلاف الاجناس والاقوام والافهام والميول والرغبات^(٢٧)، ولذلك فإن منع الاجتهاد وتنوع الآراء بحجة حماية الشريعة لا طائل منه في زماننا، فضلاً إلى دور هذه الدعوى في ايقاف عجلة التطور الفقهي، وفتح الباب واسعاً أمام التعصب والتقليد الاعمى، بل إن اطلاق الحرية الفكرية، واثراء المجتمع بالآراء، وفتح باب النقاش العلمي المنضبط هو الحل الكفيل بإسقاط الرديء من الافكار، والضعيف من الاقوال، وايقاظ الملكات العقلية من سباتها^(٢٨)، وهذه الحالة منع الاجتهاد وتوسع الآراء تتحقق حقيقة في حالات منع الحرية الفكرية، فالمجتمع الذي تعتقد فيه الحرية الفكرية، وتضعف فيه الآراء، وتقل فيه الافكار، كالجسم السقيم الذي يعاني قلة الزاد، ونقص الفيتامينات، وضعف الطاقة، سيكون خاوياً ضعيفاً هزياً لا يستطيع مقارعة الامراض والعلل.

المطلب الثالث: تعاون ابناء المجتمع الواحد في المشتركات

إن الحرية الفكرية التي أثرت في المجتمع ، وغرست في ابناءه فكرة قبول الآخرين على ما يرونه من افكار وآراء ، ستؤدي هذه الحرية لامحالة الى نتيجة اخرى مهمة في المجتمع ، وهذه النتيجة هي ظهور حالة من التعاون في المشتركات ، بغية بناء المجتمع ، و تقوية اركانه وازدهارها وانتعاشها بالأفكار المتنوعة .وينبغي أن يلاحظ أن هذه النتيجة الحتمية تتبع من الحرية المنضبطة بضوابط الشرع ، لا الحرية المنفلتة التي لاهم لها الا مصالح اصحابها الشخصية ، والتي من المحتمل ان تؤدي الى عدم قبول الآخرين وعدم السماح معهم ، ومن ثم يفسح المجال لأفكار الجهة الاقوى ، فتنشر النظرة الاحادية ، وينعدم التنوع ، وبالتالي ينتهي التعاون ويضمحل .ومن المعلوم أن التعاون المنتج المثمر ، الذي يصب في مصلحة الجميع ، ويحمي حقوقهم ويوفر احتياجاتهم ، ويدفع الظلم عنهم ، هو من مقاصد الشريعة ، وقد حث عليه الله تعالى في كتابه الكريم ، فقال : ﴿وَعَاوِزُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوِزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٩) ، فيقتضي ظاهر الآية : التعاون بين ابناء المجتمع على كل ما يرضي الله تعالى من صيانة للحقوق ، و دفع للضرر ، وبناء اوامر التواصل الخلاق والفعال بين ابناء المجتمع (٣٠) ، و (التعاون بين المسلمين ضرورةً حياتية، وحقيقةً بديهية. ولكن هذا التعاون نوعان: تعاونٌ مطلوب، وتعاونٌ ممنوع. وهذا الحكم حسب المجال الذي يكون فيه التعاون. فهو مطلوبٌ مندوبٌ مرغوبٌ فيه عندما يكون مجاله مباحاً، وميدانه مسموحاً، ووسائله مشروعة. بينما يكون ممنوعاً محرماً منهيّاً عنه، عندما يكون مجاله محرماً، ووسائله غير مشروعة ، وهذه الآية تشير إلى النوعين، وتعرفنا على المجالين، وتبين لنا متى يكون مطلوباً، ومتى يكون ممنوعاً ، التعاون مطلوبٌ مرغوبٌ فيه، عندما يكون على البر والتقوى. والتعاون محرماً منهيّاً عنه، عندما يكون على الإثم والعدوان) (٣١) ، إن الاسلام بوصفه ديناً يخاطب العقل والقلب ، ويحفز الفكر والشعور لتظهر آثارهما على السلوك ، يصوغ كافة نظم المجتمع ، ليقام بناؤه بشكل تختفي فيه الصراعات ، وتنتهي فيه العداوات ، ويحل فيها الحرية الراقية التي تورث بين افراد المجتمع جميعاً التعاون في المشتركات ، والتكافل في الازمات ، وسيادة حرية الرأي المؤدية الى الشورى النافعة ، والتنوع الفكري المؤدي الى نهضة فكرية وعلمية رصينة (٣٢) ، إن خصائص الثقافة الإسلامية تُظهر قيمة هذه الثقافة ، وتبرز مكانتها الرفيعة السامية من بين سائر الثقافات الأخرى ، تلك الثقافات التي تنظر للإنسان بأنه آلة تعمل ، تجرده من التوازن المرن بين روجه وجسده ، وبين فكره ومشاعره ، كما تظهر قدرة الثقافة الاسلامية على احتواء الانسان - أي انسان - والمجتمع ، وقدرتها على توجيهها الوجهة المتوازنة ، إذ تنمي فيهما عن طريق التنوع الفكري الخلاق ، والتقبل الجميل للآخرين ، والاستعداد للتعاون ، ونبذ التباعد ، لإنتاج ما فيه خير المجتمع واستقراره، مهما تباينت الآراء ، مادامت قد جاءت بمنهج الحرية الفكرية الصحيحة (٣٣) ، وتبعاً لفكرة الاسلام ، عن الديانات المختلفة ، والافكار المتنوعة ، ومن يؤمن بها ويعتقد بها، وتماشياً مع رسالة الاسلام العالمية ، فإنه لا يقطع الصلة - سواء كانت معرفية او خدمية - بينه وبين الآخرين ممن لا يؤمنون به ما داموا لا يعادونه ، و لا يحاربونه فكراً او عملياً ، ولا يعتدون على الضعفاء أو يفسدون في الارض ، بل إنه يفسح المجال للداخلين تحت سلطانه منهم للحياة الكريمة كاملة بحقوقهم الكاملة ، ويفسح للآخرين ممن هم خارج سلطانه مجال التعاون في مجالات الخير والصالح ، بما يعود على البشرية بالنفع والصالح العام (٣٤) . وإن الاسلام يؤكد في تربيته لأفراد المجتمع على التوازن المرن بين الفرد والمجتمع، فيصنع الفرد - الذي يندرج تحت مبدأ حقوق المجتمع وحاجته للتعاون - دون النظر الى الجنسية ، او القومية ، او الاختلافات الفكرية ، مادامت منضبطة بالضوابط الصحيحة التي ارساها الاسلام ، فيبني فيه وعيه بحق الجماعة ، ووجوب التعاون معها ، وكم ندد الاسلام بالنزعة الى الاعتزال عن المجتمع ، والانكماش عن التعاون معه ، بل عد الفرد الذي ينفع المجتمع هو النموذج المثالي للفرد المسلم (٣٥) ، لقد جعل الاسلام الفرد المسلم الذي يتعاون مع مجتمعه ، ويساعدهم ، ويتألف معه في المشتركات من خير الناس ، قال (ﷺ) : ((حَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ)) (٣٦) ، وقال (ﷺ) : ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ، أَكْبَرُ مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ)) (٣٧) ، وهذه الاحاديث تدل على اهمية حضور الانسان في مجتمعه ، واخذه بمنهج التعاون في المشتركات ، ومن المألوف أن الانسان يؤديه أن يخالف في فكرته ، ويرى خلاف رأيه ، ولكن رسول الله (ﷺ) يحثه على الصبر على هذا الاذى ، في سبيل غاية اسمى ، وهي التعاون في المشتركات بين ابناء المجتمع ، وهذا الامر نابع من تقبل الانسان لأفكار الآخرين التي تخالف فكرته ، فيبحث في آراء الآخرين ما يوافق افكاره فيتعاون معهم في هذه ، ويتجاوز ما اختلف فيه ، طلباً للصالح العام ، وسعياً في منفعة الجميع ، دون النظر الى التفاصيل الدقيقة التي تفضل كل انسان عن اخيه ، فالجميع في النهاية ينتمون الى مجتمع واحد ، ورفاهيته وطمأنينته ، ورخاؤه مسؤوليتهم جميعاً .

المبحث الثالث : آثار الحرية الفكرية على مختلف الالام والمجتمعات

لا يقتصر اثر الحرية الفكرية على التشكيل النفسي والفكري للشخص نفسه ، ولا يقتصر على المجتمع الواحد ، بل يمتد ليشمل المجتمعات المتعددة ، والامم المتباينة التي اشرفت عليهم شمس الحرية الفكرية ، فتتبادل هذه الامم الافكار ، وتتأثر بعضها ببعض ، و تنتقل حضارة بعضها الى بعض ، ويرث بعضها افكار بعض ، وتتطمع حضارة بعضها بأجزاء من الحضارة الاخرى . وليس غريباً أن نرى أن القرآن الكريم قد دعا الامم الاخرى الى الحوار ، والى عرض الافكار ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا مَبْعُوثاً لِبَعْضٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٣٨) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثاً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٣٩) ، ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكُمْ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلِ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٤٠) ، لقد تمثلت مبادئ الحوار بين الامم في افعال الرسول (ﷺ) إذ ارسل رسله الى ملوك العالم يدعوهم الى الاسلام ، ويعرضه عليهم ليكونوا على بينة منه^(٤١) ، فلا يكفيننا أن ندعي محبة الاسلام ، ولا أن يكون نصيبه حياة كل واحد منا عبادات معينة يؤديها في يومه وليلته ، او ان نتمسك بالاسلام لأنفسنا فحسب ، بل نحن بحاجة الى ان نتحرك في الآفاق بالدعوة اليه ، والتبشير به ونقل افكاره الى غيرنا من الامم والشعوب ، وهذه امانة تركها لنا رسول الله (ﷺ) فلا بد من ابلاغ هذه الدعوة الى الامم والبلدان بحيث تظهر لهم براهين الايمان ، وادلة الاسلام^(٤٢) ، ولا ضير لاهل الاسلام شيئاً في الاستماع الفعال لآراء وافكار الاخرين ، ومناقشة الآراء مناقشة فعالة منضبطة ، و بيان الحق والصواب ، (ومن هذه القاعدة الفسيحة المستريحة يطل المسلمون على الحوار بين الأديان والحضارات دون أي موانع دينية أو نفسية؛ لأنهم يجدون في دينهم قواعد ومرتكزات تحت على التعايش، وتعين على اكتشاف مناطق كثيرة للتعاون واللقاء ، والقرآن الكريم ساحة مفتوحة للحوار الشامل مع كل البشر على اختلاف سلالاتهم وعقائدهم، والنقاش يحتل مساحة واسعة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)^(٤٣) ، (في اساس النظرية الاسلامية لا يوجد ما يعيق العلاقة السليمة المنفتحة والمتبادلة مع الآخر ، حتى في زمن الحروب التي كانت في فترة صدر الاسلام ، فإن الحوار سبق مراراً السيف ، وحين مضت الفتوحات على ظهور الخيل ، وفي ركاب الفرسان ، لم تكن حروباً نهائية ، ولا هدفاً بذاتها ، بقدر ما كان الفتح الاسلامي متوافراً على معاني ايجاد العلاقة الجديدة مع الآخر في المحيط الجغرافي ، وعبر اطر تاريخية عميقة الصلة بالأديان الاخرى ، فكان اصحاب الديانات السابقة في مركز اهتمام الاسلام)^(٤٤) ، إن هذا التلاقح الخلاق بين افكار الامم ، وامتزاج العقول ، لا بد أن يفضي لخير ، والسبب في ذلك أن الشريعة الاسلامية في الاصل لم تمنع المسلم من الاطلاع على ثقافات الاخرين وافكارهم ، بل تحت على النظر في تاريخ الامم الاخرى لعل المسلم يخرج مما نظر فيه بحكمة نافعة، او عبرة مفيدة ، ومن المهم جداً في هذا السياق اعداد نخبة قادرة على استخلاص القيم التي تحيا بها الامة ، وتستدعي التجربة التاريخية العميقة لها ، وهي قادرة على الاستفادة المنضبطة والنافعة من الآخر ، فيمارسون التبادل الثقافي والمعرفي ، فيصبحون سفراء الامة لدى غيرنا ، يشاركون الامم الاخرى تجاربنا ، وينقلون اليها افكارنا)^(٤٥) ، (إننا نجد المنظمات والمؤسسات الإسلامية تمارس الحوار مع نظيراتها من الكنائس والمعاهد العلمية؛ انطلاقاً من التوجيهات القرآنية، والتقاليد النبوية الثابتة، ولا تمنعها الخلافات المعروفة في العقائد من التعاون لمكافحة الشرور التي تجتاح العالم المعاصر، ومنها: الإلحاد، وشيوع الكحولية والمخدرات، وتهديد الأسرة، وتشجيع العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وكلها تيارات منحرفة تقوم عليها مؤسسات هدامة ، مما يحتم على أتباع الأديان التعاون لكبحها وصد شرورها. وقد أدى هذا الحوار والتعاون دوراً مهماً في التصدي للأفكار الهدامة، مما يغري بالاستمرار فيه، لا سيما وأن مبادئ الإسلام تعين على ذلك وتشجع عليه)^(٤٦) ، (ونحن بذلك - الحوار والتلاقح الفكري - لا نرمي الى الغاء الآخر ، او قطع جسور التواصل معه ، والانكفاء عنه ، وعدم الافادة منه ، او التلفيق و المقاربة الحضارية على حساب قيمنا فنحاول مسخها وصبها في قوالبه ، وانما نرى الآخر موجوداً وسبقي موجوداً الى يوم الدين ، وأن التفاعل والتنامي والحراك كما يكون مع الذات او ما يمكن أن يسمى حوار الذات ، و من خلال نقدها ومراجعتها فهو يتم بشكل اوفر وابتعد اثره مع الآخر ، الذي يمكن ان يشكل الاستفزاز والتحدي ، بمعناه الايجابي ، والمعرض الحضاري الذي يلم الشمل ويجمع الطاقات ، ويشدذ الفاعلية ، ويحرك القوى الكامنة ويدعو للاستفزاز والتحدي ، بمعناه وخاصة عندما ندرك ويدرك أن ليس احدنا بديلاً للآخر ، وأن لكل انسان وجهة هو موليتها وأن حرية الاختيار هي كرامة الانسان)^(٤٧) ، وتبقى كل هذه الاجراءات في حيز الفراغ ، وبحكم المعدم مالم تتمتع الامة بحرية فكرية منضبطة ، تورثها فسحة فكرية وشعورية تغرس فيها قبول الآخرين ، والعطف عليهم واردة ايصال الخير لهم ، فتسعى لتسمع منهم افكارهم ، وتحاورهم فيها محاوره المشفق الرحيم ، تقبل منهم

صوابهم وتعتمده ، وتصحح لهم خطأهم وتببهم عنه ، ولها في ذلك اسوة حسنة برسول الله (ﷺ) الذي كاد أن يهلك نفسه من أجل المعرضين عن دعوته حتى عاتبه ربه سبحانه فقال له رحمة به : ﴿فَلَمَّا كَبَخَعْتُمْ بِأَخْتِمْ نَفْسَكُمْ عَلَى آثَامِهِمْ إِنَّمَا لَكُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْهُ عِبَرَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧) ، وقال سبحانه : ﴿لَمَّا كَبَخَعْتُمْ بِأَخْتِمْ نَفْسَكُمْ عَلَى آثَامِهِمْ إِنَّمَا لَكُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْهُ عِبَرَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٨) ، إن هذه المهمة هي من أعظم المهمات ، في الوقت الذي تحاول فيه كل الامم والمجتمعات تصدير افكارها الى الآخرين ، دون الاستماع اليهم ، لدرجة امتلاء فضاء العلم بالأصوات حد اللغظ وعدم الفهم ، فاصبح العامة بحاجة الى أن سماعة تكون كما قال الله تعالى عن نبيه (ﷺ) في كتابه الكريم : ﴿أَذِّنْ خَيْرَ كَلِمَةٍ يُمْنٌ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ (٤٩) ، ومن اجدر بالاستماع للعامة ، وفتح الصدر للرحب لهم ومشاركتهم الافكار والآراء من امته (ﷺ) .

المطلب الثاني : التعايش السلمي بين الامم والمجتمعات

تؤثر الحرية الفكرية في المجتمعات التي استنارت بها في طريقة معاملتها المجتمعات الاخرى ، فتنبذ هذه المجتمعات سياسة الاعتداء والعنف ، والخلاف والتصادم ، لما تؤمن به من ثقافة الانفتاح على الآخرين ، والحوار الفعال ، وتشارك الافكار والآراء ، والتعاون في المشتركات ، وتحاول جاهدة أن تسيير المسيرة السلمية ، دون اللجوء الى وسائل العنف ، إلا في حالات الرد على الاعتداء ، او رد الظلم عن الضعفاء ، واقامة العدل . وقد حث الاسلام اتباعه على اتباع سبيل السلام ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥٠) ، وقال سبحانه : ﴿لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءَ لَمَّا كَانُوا فِي دَرَجَاتٍ عَالِيَاتٍ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) ، وقد نبه رسول الله (ﷺ) اصحابه وهم على اهبة الاستعداد للقاء عدو في احدى المعارك فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوا لِلَّهِ الْعَاقِبَةَ فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فَأَصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّ الشُّجْرِ﴾ (٥٢) ، والمعنى أن المسلم في صميم ايمانه لا يتمنى إراقة دماء الناس ، بل هو مشفق عليهم يود لو أنهم آمنوا بالله ورسوله مثله ، ولكنه يحارب لإحقاق الحق ، ودفع الباطل والفساد عن الارض ، والاسلام في الحقيقة دين السلام ؛ لأن القاعدة عنده في التعامل مع الامم والشعوب الاخرى هي السلم ، أما الحرب فهي استثناء و ضرورة شرعت لرد العدوان وتأمين الحريات (٥٣) ، (والواقع ان الاصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم ، والحرب أمر طارئ على البشرية وعلى المسلمين؛ لدفع الشر والعدوان وحماية الدعوة لا للغلب او المخالفة في الدين ، كما قرر جمهور الفقهاء ، والدعوة الى الاسلام تكون اولاً بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان؛ لان الاسلام يجنح دائماً للسلم لا للحرب) (٥٤) ، أما اذا حصل الاعتداء على المسلمين فعلاً ، او بغتتهم عن دينهم ، عندها تصيح الحرب ضرورة يوجبها قانون الدفاع عن النفس، وعن العقيدة وعن الحريات الدينية والشخصية (٥٥) ، (ومظاهر التعايش السلمي وتبادل المنافع بين الأمم دون نظر إلى عقيدة أو مذهب أو غير ذلك أمر معروف في الإسلام والأدلة عليه كثيرة ، إن هذا الدين الذي فيه كل هذه المقومات العالمية، والتي تنص آياته وأحاديثه على أنه وحده دين البشرية، وتحث على تبليغه ونشره، جدير بأن يستفيد منه العالم كله، وأن تبذل جهود ضخمة في سبيل إذاعته في كل مكان، وبقاء الدعوة له في كل زمان) (٥٦) ، لقد جعل الله تعالى البشر منقسمين الى امم وشعوب ، وجعل الاصرة بينهم اصرة تعارف وتواصل ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٥٧) ، (فإذا كان التعارف هو الأصل الجامع للشعوب والقبايل والأجناس، فالسلام لازم من لوازمه، هو الأساس لكل تعارف، فلا تعارف يوجب المودة مع الخصام والتناحر والتحارب ، ولذلك كان الأصل في علاقات الدول بعضها مع بعض ، أو بعبارة أدق العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم لا الحرب، فالمسلم ينظر إلى من يخالفه نظرة الود الراحم، لا العداوة القاطعة) (٥٨) . أما إذا قامت الحرب بين المسلمين المؤمنين بالإسلام ونبيه (ﷺ) والقرآن العظيم ، وبين غيرهم فإن الإسلام يتشوق للسلم ويتبغيه ، ولا يريد الاستمرار في حرب ترهق الارواح ، وتسيل فيها الدماء ، فإن جنح العدو للسلم ، وآثر المودعة ، جنح المسلمون لها ، و إن كانوا على غير ثقة من عدوهم ، او يتوقعون منه خلاف ما يُظهر ، مالم يقم على ذلك دليل عندهم (٥٩) . إن ما مضى يثبت بما لا شك فيه أن الاسلام الذي اباح الحرية الفكرية ، ولم يكرههم على شيء ، لا يسير بسيرة الحروب والدماء ، بل أن منهجه قائم على السلام والسلامة ، والرحمة بالأمم الاخرى ، فمن كان قد اباح للناس ان يظهروا آرائهم، ويفصحوا عن افكارهم ، ويعلموا معتقداتهم ، آمنين في ظل حمايته ، مكفولة لهم حقوقهم ، محفوظة في ارواحهم ، سالمة في اعراضهم واموالهم ، كان من الأولى بأن يتعايش مع الامم الاخرى بسلام ، سلام المقتردين ، لا سلام الضعفاء والخانعين ، وان يكون السلام اولويته ليتسنى له أن يعرض على الامم افكاره فينقذهم بها من الظلام والجاهلية التي بانت تعيش فيه الى النور والمعرفة التي تكسبه خيري الدنيا والاخرة .

- وبعد ان تفضل الله علينا بختام بحثنا هذا ، فان اهم النتائج التي تم التوصل اليها هي :
- ١- ان للحرية الفكرية آثارا على الفرد نفسه تجعله يقبل الآخرين ، ويتسامح معهم ، وتكسبه وسطيةً في الاقوال والافعال.
 - ٢- ان للحرية الفكرية آثارا على المجتمع الواحد تتمثل ، بثراء المجتمع وغناه الفكري ، وتنوع الآراء فيه ، واطلاق الحريات لأفراده لاعتناق ما يريدون من الافكار .
 - ٣- ان للحرية الفكرية آثارا تتعدى المجتمع الواحد الى المجتمعات المتعددة ، والامم المتعددة ، تتمثل بتلاقح افكار الامم مع بعضها ، وانتشار التعايش السلمي بينها .
 - ٤- نستنتج من كل ما سبق ، ان الإسلام جاء ليعطي للإنسان قدره ومكانته بين سائر المخلوقات وان يعيش حياة كريمة تليي مشاعره وميولاته الفطرية السوية.

المصادر

بعد القرآن الكريم:-

١. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٢. الاسلام والديمقراطية: فهمي هويدي ،مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١ ، ١٩٩٣م .
٣. الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية : كمال الدين جعيط ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، د. ط، د.ت.
٤. أضواء على الثقافة الإسلامية : الدكتورة نادية شريف العمري ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
٥. الأمة الوسط :علاء الدين المدرس مكتبة دار الكتب العلمية، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٨م .
٦. بناء المجتمع الإسلامي : د. نبيل السمالوطي ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط٣ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
٧. التسامح في الاسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية : احمد حميد عبود العلواني ، دار المعرفة ، بيروت / لبنان ، ط١ / ٢٠١٣م .
٨. تصويبات في فهم بعض الآيات، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م
٩. التفكير بطرق مختلفة (مهارات وتطبيقات):د. فهد خليل زايد ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الاردن / عمان ، ط١ / ٢٠٠٩م .
١٠. ثقافة قبول الاخر : ممدوح الشيخ ، مكتبة الايمان /المنصورة ، ط١ ، ٢٠٠٧م
١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٢. الحرية الدينية في الشريعة الاسلامية ابعادها وضوابطها :د محمد الزحيلي : مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد ٢٧، العدد(١) ، السنة ٢٠١١م .
١٣. الحرية الفكرية والدينية (رؤية اسلامية جديدة) د يحيى رضا جاد ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة /مصر ، ط١ ، ٢٠١٣م .
١٤. الحرية في الاسلام ، محمد الخضر حسين ، دار الاعتصام ، د.ت .
١٥. الحرية وتطبيقاتها في الفقه الاسلامي ، محمد محمود محمد الجمال ، سلسلة كتاب الامة الصادر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية /قطر ، ط١ ، ٢٠١٠م .
١٦. حقوق الإنسان والقضايا الكبرى : كامل إسماعيل الشريف (المتوفى: ١٤٢٩هـ) (بحث قدم في الندوة العالمية لحقوق الانسان في الاسلام المنعقدة في روما بايطاليا بتاريخ: ١٩/١١/١٤٢٠هـ الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م) منشورة في مجلة مجمع الفقه الإسلامي .
١٧. الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه : عطية صقر ، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
١٨. سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاکر محمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ط٢ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

١٩. السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط ٣/ ٢٠٠٩م.
٢٠. العلاقات الدولية في الاسلام : محمد ابو زهرة، دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، د.ت.
٢١. العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث : د. وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة/بيروت، د.ت.
٢٢. فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي، د. عبد الحسين شعبان، دار آراس للطباعة والنشر، اربيل، كردستان العراق، ط ٢، ٢٠١١م.
٢٣. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة : محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، ط ٢٥ - ١٤٢٦ هـ.
٢٤. القرآن ونقض مطاعن الرهبان : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط ١: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٢٥. قيم الاسلام الحضارية (نحو انسانية جديدة) د. محمد عبد الفتاح الخطيب، سلسلة كتاب الامة الصادرة عن ادارة البحوث والدراسات الاسلامية/ قطر، ط ١، ٢٠١٠م.
٢٦. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٢٧. المدخل لدراسة المذاهب والمدارس الفقهية : د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، ط ٤، ٢٠٠٧م.
٢٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٩. مظاهر الوسطية في الجانب الفردي : الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، مجموعة من العلماء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ.
٣٠. المعجزة الكبرى القرآن : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي
٣١. المعجم الأوسط سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين - القاهرة
٣٢. مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الاسلامي ومهاراته : د. طه الزبيدي، دار الفجر / العراق، و دار النفائس للنشر والتوزيع / الاردن، اصدارات المجمع الفقهي العراقي، ط ١/ ٢٠١٦م.
٣٣. من اجل انطلاقه حضارية شاملة: د. عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط ٢/ ٢٠٠١م.
٣٤. المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين : غازي سعيد سلمان، من اصدارات ديوان الوقف السني / مركز البحوث والدراسات الاسلامي، سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة، ط ١/ ٢٠١٠م.
٣٥. المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين : غازي سعيد سلمان، من اصدارات ديوان الوقف السني / مركز البحوث والدراسات الاسلامي، سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة، ط ١/ ٢٠١٠م.
٣٦. مواطنون لا نميون: فهمي هويدي، دار الشروق، القاهرة/مصر، ط ٣/ ١٩٩٩م.
٣٧. الموسوعة القرآنية المتخصصة مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٣٨. نحو مجتمع اسلامي: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة/مصر، ط ١٠/ ١٩٩٣م.

الهوامش

- (١) سورة هود : الآية ١١٨ .
- (٢) سورة التوبة : الآية ٦ .
- (٣) الاسلام والديمقراطية: فهمي هويدي، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣ : ٢٥.
- (٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .
- (٥) المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين : غازي سعيد سلمان، من اصدارات ديوان الوقف السني / مركز البحوث

والدراسات الاسلامي , سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة , ط ١ / ٢٠١٠ م : ٨٢.

(٦) ينظر : الاسلام والديمقراطية : ٢٧ .

(٧) التسامح في الاسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية: احمد حميد عبود العلواني, دار المعرفة, = بيروت / لبنان , ط ١ , ٢٠١٣ م , ص ١٣ .

(٨) ينظر : المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين: ٨٣.

(٩) فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي , د. عبد الحسين شعبان , دار آراس للطباعة والنشر , اربيل , كردستان العراق , ط ٢ , ٢٠١١ .

(١٠) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(١١) ينظر : التفكير بطرق مختلفة: ١٥ .

(١٢) ينظر : التجديد والوسطية في الخطاب الاسلامي ومهاراته: ٦٧.

(١٣) ينظر : مظاهر الوسطية في الجانب الفردي : الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد , بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو, مجموعة من العلماء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ : ٦٧/١ .

(١٤) ينظر : مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الاسلامي ومهاراته: ٤٢ .

(١٥) الأمة الوسط : علاء الدين المدرس مكتبة دار الكتب العلمية، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٨ : ١٨٣ .

(١٦) ينظر : المدخل لدراسة المذاهب والمدارس الفقهية : د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس ، الكويت ، ط ٤ ، ٢٠٠٧ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(١٧) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

(١٨) ينظر: مواطنون لا نميون: فهمي هويدي, دار الشروق, القاهرة/مصر , ط ٣ / ١٩٩٩ : ٩١ .

(١٩) ينظر : الحرية الفكرية والدينية رؤية اسلامية جديدة : ١٥٤ .

(٢٠) ينظر : المنهج الاسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين: ٢٢٧.

(٢١) الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية : كمال الدين جعيط , مجلة مجمع الفقه الإسلامي : ١٣؛ وينظر : الموسوعة القرآنية المتخصصة مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م : ١ / ٨٤

(٢٢) ينظر : القرآن ونقض مطاعن الرهبان : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي , دار القلم - دمشق , ط ١ : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م : ١ / ٤٣٢ .

(٢٣) الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية: ١٤ .

(٢٤) سنن الترمذي: ابواب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: ٥١ / ٥ ، برقم ٢٦٨٧ .

(٢٥) من اجل انطلاقة حضارية شاملة: د. عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط ٢ : ٢٠٠١ : ١٠٧ .

(٢٦) ينظر : الحرية في الاسلام , محمد الخضر حسين , دار الاعتصام: ٧٢.

(٢٧) ينظر : الحرية الدينية في الشريعة الاسلامية ابعادها وضوابطها : د محمد الزحيلي : مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد ٢٧، العدد ١ السنة ٢٠١١ : ٤٠٠ .

(٢٨) ينظر : الحرية وتطبيقاتها في الفقه الاسلامي : ٢٣ .

(٢٩) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٣٠) ينظر : أحكام القرآن للجصاص: ٢ / ٣٨١ .

(٣١) تصويبات في فهم بعض الآيات، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م : ١٩١ .

(٣٢) ينظر : بناء المجتمع الإسلامي: ٧٣ .

(٣٣) ينظر : أضواء على الثقافة الاسلامية : الدكتور نادية شريف العمري , مؤسسة الرسالة , ط ٩ , ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م : ٤٢ .

(٣٤) ينظر : نحو مجتمع اسلامي: سيد قطب, دار الشروق, القاهرة/مصر, ط ١٠ / ١٩٩٣ : ١١٤ .

(٣٥) ينظر : لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط ٥ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م : ٢٤١ .

- (^{٣٦}) المعجم الأوسط : عن محمد بن عبد الله الحضرمي : ٥٨ / ٦ ، برقم ٥٧٨٧ .
- (^{٣٧}) مسند أحمد بن حنبل ، من حديث عبد الله بن عمر ، : ٩ / ٦٤ برقم ٥٠٢٢ .
- (^{٣٨}) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .
- (^{٣٩}) سورة آل عمران : الآيتان ١٩-٢٠ .
- (^{٤٠}) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام : ٦٠٧/٢ .
- (^{٤١}) ينظر : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة : محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر - دمشق ، ط ٢٥ - ١٤٢٦ هـ : ٣٢٣ .
- (^{٤٢}) حقوق الإنسان والقضايا الكبرى : كامل إسماعيل الشريف (المتوفى: ١٤٢٩ هـ) (بحث قدم في الندوة العالمية لحقوق الإنسان في الاسلام المنعقدة في روما بإيطاليا بتاريخ: ١٩/١١/١٤٢٠ هـ الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م) منشورة في مجلة مجمع الفقه الإسلامي: ١٤ .
- (^{٤٣}) ثقافة قبول الآخر : ممدوح الشيخ ، مكتبة الايمان / المنصورة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ : ١٧٦ .
- (^{٤٤}) ينظر : قيم الاسلام الحضارية (نحو انسانية جديدة) د. محمد عبد الفتاح الخطيب ، سلسلة كتاب الامة الصادرة عن ادارة البحوث والدراسات الاسلامية/ قطر ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ٩ .
- (^{٤٥}) حقوق الإنسان والقضايا الكبرى : ١٥ .
- (^{٤٦}) قيم الاسلام الحضارية (نحو انسانية جديدة) : ٩ .
- (^{٤٧}) سورة الكهف : الآية ٦ .
- (^{٤٨}) سورة الشعراء : الآية ٣ .
- (^{٤٩}) سورة التوبة : الآية ٦١ .
- (^{٥٠}) سورة الانفال : الآية ٦١ .
- (^{٥١}) سورة الممتحنة : الآية ٨ .
- (^{٥٢}) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب لا تمنوا لقاء العدو: ٣ / ١١٠١ ، برقم ٢٨٦١ .
- (^{٥٣}) ينظر : الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه : عطية صقر ، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : ٣٧ .
- (^{٥٤}) العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث : د. وهبة الزحيلي ، مؤسسة الرسالة / بيروت : ٩٤ .
- (^{٥٥}) ينظر : العلاقات الدولية في الاسلام : محمد ابو زهرة ، دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع ، الكويت : ٤٨ .
- (^{٥٦}) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه: ٣٧ .
- (^{٥٧}) سورة الحجرات : الآية ١٣ .
- (^{٥٨}) المعجزة الكبرى القرآن : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤ هـ) دار الفكر العربي : ٣٥٩ .
- (^{٥٩}) ينظر المصدر السابق نفسه .